

الخصوصيات المنهجية للظاهرة الاجتماعية وحدود المنهج الوضعي والحدث الاجتماعي

The methodological specifics of the social phenomenon and the limits of the positivist approach and the social event

فكير محمد رسيم

جامعة تلمسان (الجزائر)، racimfekir@gmail.com

تاريخ النشر: 2023-05-05

تاريخ القبول: 2023-04-17

تاريخ الاستلام: 2023-01-29

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى مقارنة موضوع الخصوصية المنهجية للظاهرة الاجتماعية وحدود المنهج الوضعي والحدث الاجتماعي، بالتطرق إلى أهم المقاربات العلمية التي ايدت تميز وانفراد منهج دراسة الظاهرة الاجتماعية عن باقي الظواهر الطبيعية ابرز هذه المقاربات تمثلت في الفهمية والظاهرية والاثنوميتودولوجيا، لتتمخض عنها نتائج علمية في بالغ الأهمية، أولا تبني منهج الفهم لتفسير مسببات الأفعال الاجتماعية ومعانيها، ثانيا رفض اعتبار الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء، بسبب محدودية المنهج الوضعي وثالثا ضرورة انغماس الباحث في الحياة الاجتماعية اليومية للأفراد. ورابعا وأخيرا ضرورة المزج بين المنهج الاثنوميتودولوجي والاثنوبولوجي كونهما يشتركان في مقارنة نفس الخصوصية المنهجية للمجتمعات المحلية التقليدية منها وخاصة الحديثة مؤخرا كالمدين والاحياء السكنية والشوارع والأسواق وما تحتويها من ظواهر اجتماعية.

كلمات مفتاحية: الظاهرة الاجتماعية؛ المنهج الوضعي؛ الحدث الاجتماعي؛ الخصوصية المنهجية.

Abstract :

This intervention aims to approach the subject of the methodological peculiarities of the social phenomenon and the limits of the positivist approach and the social event, by addressing the most important scientific approaches that supported the distinction and uniqueness of the approach to studying the social phenomenon from the rest of the natural phenomena. Scientifically very important, firstly adopting the method of understanding to explain the causes and meanings of social actions, secondly refusing to consider social phenomena as things, Because of the limitations of the positivist approach, and thirdly, the need for the researcher to be immersed in the daily social life of individuals. Fourthly, and finally, the need to mix between the ethno-methodological and anthropological approaches, since they share the same methodological characteristics of the traditional local communities, especially the recent ones, such as cities, residential neighborhoods, streets, markets, and their contents. social phenomena.

Keywords: The social phenomenon; the positivist approach; the social event; methodological specifics.

مقدمة:

تتداخل في مسألة المنهج للعلوم الإنسانية عدة مقاربات وضعية وفهمية وإثنوميتودولوجية وماركسية... الأمر الذي أثار إشكاليات إبستمولوجية وحدود معرفية من منهج إلى آخر وإذا كان من الصعب في دراستنا الإحاطة بكل المقاربات المنهجية لأن ذلك سيوقعنا في معضلات وتساؤلات كلامية أكثر منها سوسيولوجية، نتيجة لذلك سوف أكتفي فقط بالتطرق والإلمام الى مقاربتين الإثنوميتودولوجيا والفهمية نظرا لأهمية مسلماتهما وخصوصياتهما المنهجية للظاهرة الاجتماعية وتفردا عن بقية الظواهر الطبيعية الأخرى وبهذا المنطلق تبين لنا طرح سؤالين استفهامين، وهما:

• ماهي أهم الخصوصيات المنهجية التي تتميز بها الظاهرة الاجتماعية حسبما احتوتهما المقاربتين المنهجيتين الإثنوميتودولوجيا و الفهمية؟

• وماهي حدود المنهج الوضعي وسوسيولوجية الحدث الاجتماعي في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية؟

1. المقاربة المنهجية الفهمية وحدود المنهج الوضعي وسوسيولوجية الحدث الاجتماعي:

يعتبر ويلهام ديلتاي أول من استخدم مصطلح الفهم باللغة الألمانية verstehen الذي طورته المدرسة الألمانية بزعامه إيمانويل كانط، إذ اعتبر أن مصدر المعرفة ليس التجربة فحسب، بل العقل الذي يشكل مسلك فهم المجتمع، مبرزا أن الإنسان لا يمكنه معرفة طبيعة وجوهر الأشياء، لأن كل معرفة حول العالم هي مبنية عبر أشكال خالصة من الحدس الزمان والمكان، إذن مهمة الفلسفة هي فهم الإنسان المفكر وليس الشيء في حد ذاته، رافضا في نفس الوقت كل معرفة ميتافيزيقية بحجة أنها غير قادرة الوصول إلى الحدس الحسي (Mostefa Bouteftouchet, 2004, p.99).

لقد أوجدت الكانطية الحديثة تيارا فكريا تطور في ألمانيا مع أواخر القرن 19 ضمت فلاسفة مدرسة ماربورغ أمثال Rickert, Assirer, Cohen اللذين اعتبروا أن مهمة العلوم الإنسانية لا يمكن أن تستخلص من الطبيعة والمنطق الموضوعي للظواهر الاجتماعية، كما أنها مطالبة بإعادة معنى النشاط الانساني الذاتي.

لقد وجه الفكر الألماني المعاصر بزعامة إدموند هوسرل Husserl وشوتز Schutz، مارتن هيدغر Heidegger وماكس فيبر وكارل جاسبرس وفلاسفة مدرسة فرانكفورت (هوكهايمر، يورغن هابرماس Habermas، هربرت ماركوز Marcuse ورواد الكانطية المحدثه فيلهلم ديلتاي Dilthey وH. Richert، جملة من الانتقادات إلى المقاربة المنهجية الوضعية أهمها رفض دراسة الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التي تدرس بها الظواهر الطبيعية، رفض النظر إلى الظواهر الاجتماعية كأشياء ورفض التجريد والمناهج الكمية، لأنها مصاغة بلغة الباحث وليس بلغة الجماعة، لقد اعتبر الفلاسفة الألمان أن الظواهر الاجتماعية لها ظاهر وباطن (روح، مشاعر، قيم وتمثلات وخطابات وتختلف من مكان إلى آخر، ولهذه الاعتبارات فإن المنهج الذي يميز الإنسان هو منهج فلسفي يطلق عليه باسم الفينومينولوجيا أو الظاهرية التي تأسست على يد إدموند هوسرل وتتكون الفينومينولوجيا من مقطعين phenomena، تعني الظاهرة وlogie تعني الدراسة والمقصود من الظواهر ليس ظواهر العالم الخارجي، أي الظواهر الطبيعية والفيزيائية على الرغم من أن هذا المصطلح قد ظهر بهذا المعنى بالفعل سنة 1554 في علم الفلك للإشارة للظواهر السماوية والخارجية القابلة للملاحظة والمحسوسة، إلا أن معناها الفلسفي يشير إلى ظواهر الوعي، أي ظهور موضوعات وأشياء العالم الخارجي في الوعي وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي دراسة الوعي بالظواهر ووصف الأشياء كما هي خارج كل بناء روعي للفكر أو كما عرفها هوسرل المنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي ويقصد بالماهيات الحقائق الموضوعية للأشياء لقد أسس هوسرل الفينومينولوجيا لغرض تجاوز أزمة العلوم الوضعية في أوروبا بداية القرن العشرين حسبه منذ قاليلي لم يتوقف العلماء من وصف العالم بطرق رياضية يقول هوسرل لقد تولدت أزمة عن المبالغة في جعل العلم هو كل شيء في المجتمع الرأسمالي وهذه الأزمة عجزت عن إثارة القضايا التي لها علاقة مع الإنسان فالعلم الحديث الوضعي اقتصر اهتمامه على الوسائل التقنية والمادية والتكنولوجية الأمر الذي جعل هذا العلم قاصرا على فهم جوهر الكون ولهذا جاء تأسيس الفينومينولوجيا التي تقوم على عدم الفصل بين عالم المادة الخارجي وعالم الشعور والخبرات الذاتية، فإذا كان علماء الطبيعة يستعبدون عالم الشعور والتجارب الذاتية في دراستهم مثلما تدعوا إليه الوضعية، فإن المنهج الفينومينولوجي يجمع بين العالم الخارجي وعالم الشعور لأن العالم الخارجي هو غير منفصل عن التجارب الذاتية (هوسرل) (إدموند هوسرل، 2007، ص.ص. 84-85). فإن الفينومينولوجيا لا تتعلق ببنية جهازنا الفكري فحسب، بل أيضا إلى نمط وجودنا

ممارساتنا وتمثلاتنا ككائنين إنسانيين، لقد تولد من الفينومينولوجيا تخصص يطلق عليه بعلم الاجتماع الفينومينولوجي، أسسه ألفرد شوتز الذي استلهم أفكاره من ماكس فيبر وهوسرل نظرية الفهم من الأول، والفينومينولوجيا من الثاني، رفض شولز النظر إلى الظواهر الاجتماعية كأشياء ورفض المناهج الكمية والتركيز على دراسة واقع الحياة اليومية وإظهار مكوناتها من خلال المفاهيم التي يكونها الناس العاديون ديلثاي ويليهايم (1833-1911) الفيلسوف الألماني الذي إشتهر بإقامة التفرقة بين علوم الثقافة أو العلوم الانسانية والميتافيزيقية وإرجاعها الى التاريخ برفض المنهج العلمي الوضعي القائم على الحتمية والتفسير، واستبداله بمنهج الفهم لعلوم الانسان القادر على إدراك المعاني والتجارب المعاشة في خصوصيتها، مؤكدا في قوله أن دراسة الأجساد الاجتماعية هي أقل دقة من الأجساد الطبيعية، إلا أن هذا العائق يمكن استدراكه من خلال الحظوظ التي تمنحها دراسة هذه الحالة المميزة التي أنا فيها جزء لا يتجزأ من هذا الجسم الاجتماعي الذي بإمكانك ان تدرسي وتتعرف عليا من الداخل. يقول ديلثاي الأكيد أن الفرد هو عنصر من التفاعلات الاجتماعية يتفاعل بوعي مع آثارها بواسطة الإرادة ونشاط الفعل وليس هذا فحسب، بل الفرد هو أيضا الذكاء الذي يلاحظ ويدرس التفاعلات الاجتماعية وفي نفس الوقت ردود الافعال الشخصية (Pierre Bourdieu Jean Claude Chambordon Gean Claude Passeron, p.326) ولهذا رأى ديلثاي أن المزج بين العلمين أو بالأحرى إخضاع علوم الإنسان لعلوم الطبيعة سيأتي على تجارب الحياة فالعلوم الإنسانية ليست ضربا من التجريد، بل هي علم بالواقع البشري إنها فلسفة الحياة التي ترتبط بالسياقات التاريخية، فلا معرفة بدون معرفة بالتاريخ وكل وعي هو وعي بالعالم وداخله ليتبين لنا اذن أن منهج الفهم عند ديلثاي كان يبحث عن دمج التصورات الفلسفية المختلفة للعالم في المصير التاريخي مؤسسا بذلك ما يسمى بالتاريخية، أو historisisme التي هي عبارة عن منهج يفسر القانون والأخلاق والدين بواسطة التاريخ بواسطة سياقات وظروف تطور الأفكار والعادات والتحويلات والبنى الإقتصادية يقول ديلثاي في هذا الصدد ان الواقع السوسيو تاريخي نصل إلى تحليله ومعرفته من الداخل . هذا المنهج التاريخي كان له تأثير على مجموعة من الفلاسفة أمثال CASIRER, SPENGLER, TROELTSCH /KARL JASPERS نضع فاصلة بالفرنسية بين المؤلفين، إذا أخذنا كارل جاسبرز (1883-1969) الفيلسوف والطبيب النفسي الألماني صاحب النزعة الوجودية المسيحية يتبين لنا هو الآخر إدراجه للمنهج الفهمي في علم النفس الذي استلهم أفكاره من الفيلسوف ديلثاي وطبقه في دراسة العديد من المرضى ومسائلهم عن عيشتهم

الشخصي مبرز الفرق بين التفسير والفهم بدليل أن الطبيب النفساني يسعى إلى فهم الحلم. فهم العلاقة بين عقدة ما تعرض له الشخص وتجربته الطفولية وأيضا فهم تطور العصاب وبالتالي حسب ما يقوله لنا جاسبرز يوجد فهم جوهري وداخلي على مستوى سيران التجارب المعاشة لكل إنسان.

ماكس فيبر (1864 – 1920) عالم الاجتماع الألماني هو الآخر سار على نفس المنهج الفهمي اين اعتبر الظواهر الاجتماعية ليست تعبير بسيط عن أسباب خارجية تفرض نفسها على الأشخاص بخلاف دوركايم فإن فيبر لا يضيف الطابع الجوهري على المجتمع وتنصيبه كحقيقة علوية لأن الفعل الاجتماعي يصدر عن قرارات يتخذها الأفراد ويقدمون معنى لأفعالهم فمنهج علم الاجتماع لا يقوم من حيث الأحداث الاجتماعية ولكن من حيث الفعل والنشاط الاجتماعي وبالتالي فإن علم الاجتماع الفيبري هو علم يقترح فهم و تأويل النشاط الاجتماعي وتفسير مسببات حدوثه ونتائج تأثيراته كما أن النشاط أو الفعل سيتم إدراكه على أنه سلوك فهمي بمعنى سلوك ذاتي مستهدف إذن علم الاجتماع حسب فيبر هو العلم الذي يدرس الفعل الاجتماعي عن طريق فهمه وتفسيره وشرحه شرحا سببيا وهو فعل ذو مضمون وهدف وقصد ويعكس المعنى الذاتي يقدمه الفرد الفاعل أو الأفراد على تصرفاتهم وتفاعلاتهم اتجاه الآخرين.

يصنف فيبر الأفعال الاجتماعية وفقا للدوافع والقيم المؤثرة فيها وهي أربعة:

- فعل اجتماعي عقلاني الهدف والغاية هو تصرف وسائلي موجه نحو تحقيق منفعة مثلا المؤسسة الاقتصادية الرأسمالية تسير ممتلكاتها من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح مثلا الاستراتيجية العسكرية التي تنظم الجيش ومخطط المعارك وأيضا رجل العلم الذي يجرب ويقوم بأبحاث.
- الفعل العقلاني القيمة هو نابع من قيم جمالية وأخلاقية أو دينية مثل الأرستقراطي الذي يكافح من أجل شرفه والفارس الذي يتوجه نحو الحروب الصليبية.
- الفعل الاجتماعي التقليدي يرتبط بالعادات والتقاليد وكل النشاطات اليومية العائلية.

- الفعل الاجتماعي العاطفي تتحكم فيه الانفعالات وأحوال شعورية مثلا توجيه لكمة أو صفة تصنف ضمن هذا النوع من الفعل (Max Weber, 1971, p.p.36-37).

لقد وضع فيبر بمقابل كل نشاط اجتماعي تقليدي. عاطفي وعقلاني ثلاثة أصناف من هيمنة السلطات، الأولى يطلق عليها بالهيمنة التقليدية التي تقوم على التقديس والسلطة الأبوية كيف ما كانت رجال الدين. النبلاء.... أما الصنف الثاني من الهيمنة يطلق عليه بالسلطة الكاريزمية، التي تعني الكرامة والزعامة والشفاعة مصدرها يكون إما نبي أو رسول أو ولي صالح مرابط أو من الوجهاء الشرفاء أو زعيم ثوري يتمتع بشخصية قوية في السياسة بينما الصنف الثالث من الهيمنة يطلق عليه بالهيمنة العقلانية الشرعية التي تقوم على سلطة القانون المجرد والشخصي المتواجدة في المكاتب البيروقراطية والإدارات والجيش والسجون وعموما في كل المؤسسات (Max Weber, 1959, p.p.99-101).

منهج علم الاجتماع عند ماكس فيبر لا يستهدف إصلاح المجتمع أو استحداث نظرية ثورية ، لأن الباحث هو مطالب بالحياد العلمي والابتعاد عن الأحكام القيمية والآراء الشخصية، التي بإمكانها أن تشوه فرضيات البحث، التي هي خاضعة لحكم واقعي، لأنه هناك فرق بين المعايير والحقائق وهذا يتضح لنا أن فيبر كان يسعى لتحقيق علم اجتماع واقعي، لأن علم الاجتماع ليس بعلم تأملي ولا تحليل لنشاط سياسي على نفس خطى فيبر أصدر بوريكو Bourricaud ردة فعل ضد النزعة الاجتماعية sociologisme لمنهج دراسة الظاهرة الاجتماعية الذي تبناه دوركايم إذ يقول بوريكو في هذا السياق يجب تخليص الفردانية من شبهتين الأولى فصلها من العقلانية التي تعتبر أن توقعات الأفراد هي دوما تامة ومعلومة بخلاف ذلك فإن بوريكو يركز على النتائج غير متوقعة للقرارات الفردية والتذكير بأن النظام الاجتماعي ينتج من عدم تطابقته أكثر من تطابقته، حيث أن الأفراد ليسوا مجرد أشخاص مجسدين لا يحققون دوما ما يطمحون اليه.

الشبهة الثانية تفهم الفردانية على أنها صدام أو تشابك القرارات الفردية والاعتراف بوجود جماعات وطبقات ومجتمعات تكرر تواجدها انطلاقا من تجربة الفرد، الذي يعطي نفسه شركاء ويعارض منافسين أو يصطدم بمقاومة من وسط عدائي أو مفضل خلال مبادرته الأولية.

يقول بوريكو نقصد بالفردانية عدم استهداف مميزات الفرد الميتافيزيقية مثل الحرية والأخلاق هدفنا هو بسيط يتمثل في لفت الانتباه إلى الصعوبات التي ضمتها النظرية الاجتماعية في مختلف متغيراتها حينما درست المجتمع كنسق مغلق يكون فيها مختلف أصناف الفاعلين منعزلين بشكل صارم (F. Bourricaud. 1975, p.p.597 et 602.603)

نستخلص من فردانية بوريكو أنها تقوم على مسلمتين الأولى الاختيارات الفردية تشكل مدخل مناسب لفهم الظاهرة الاجتماعية والمسلمة الثانية تعتبر الفرد كفاعل اجتماعي على غرار الانتقادات التي وجهها الفلاسفة الألمان أمثال ديلثاي وجاسبرز وفيرر للمنهج الوضعي يضاف إليها انتقادات أخرى تبناها علماء اجتماع أمثال J. Monnerot, Roger Caillios, Marcel Mauss فبالنسبة للأول في كتابه 1946 les fait sociaux ne sont pas des choses انتقد دوركايم واعتبر أن الأحداث الاجتماعية ليست بأشياء بمعنى أنها لا تتواجد خارج التأويلات التي نقوم بها فعندما ندرس حدث اجتماعي بطريقة علمية فلا يمكننا عزله مثلما يعزل الميكروب مثلا لأن الحدث الاجتماعي لا يمكن تفسيره إلا في سياقه التاريخي والجغرافي والبسيكولوجي... (Jules monnerot, 1946, p.105).

الكاتب والناقد الفرنسي Roger Caillios انتقد دوركايم في قوله لا يمكن اعتبار الأحداث الاجتماعية بمثابة أشياء في نفس الوقت اعتبر تشارلز أندلر تيودور Theodore لا يمكن دراسة علم الاجتماع دون علم النفس والتاريخ وبالتالي فإن الحدث الاجتماعي هو حدث شامل وحدث اجتماعي كلي شامل حسب التسمية التي أطلقها عليه مارسل موس Fait Social Total في كتابه 1925 essai sur la theorie du don عرف فيه الحدث الاجتماعي الشمولي بأنه كل حدث اجتماعي يزعم ويمز كلية المجتمع ومؤسساته قبائل متصارعة تبادل طقوس وحفلات ونساء وبوتلاتش وهبات وهدايا رمزية ... فالهبة هي عبارة حدث اجتماعي شامل لأنها تمتد إلى كل ميادين الاجتماعية القانونية والسياسية والاقتصادية.

انطلاقاً من هذا التعريف يظهر لنا أن منهج موس شكل قطيعة مع التقاليد المنهجية الوضعية والعقلانية التي عرفت تراجعاً بسبب إهمالها للكيفي والبدائي والمجتمعات التي لم تشهد الكتابة مثلما يقول موس. (Marcel Mauss, 1989)

العالم الاجتماع الفرنسي Gabriel Tarde هو الآخر عرف الحدث الاجتماعي انطلاقاً من التفاعلات الفردية التي تتوفر على قوى حيوية وذرات اجتماعية مشكلة إرادات متناقضة ومترابطة في نفس الوقت لأن الناس يعيشون معا يتأثرون ويفكرون بنفس الطريقة يقول Tarde أن المجتمع لا يساوي شيء دون أفراد الذين يشكلونه، وبالتالي كيف يمكن لعلم المجتمعات أن يتميز عن علم الافراد اقصد علم النفس.

لازارسفلد هو بدوره رأى أن هناك أساسي بين ميدان العلوم الاجتماعية وميدان العلوم الطبيعية حيث أن عالم الاحداث الاجتماعية هو أقل رؤية من العالم الطبيعي بحكم أن سقوط الاجسام والساخن والبارد والحديد الذي يتصدئ بهذه العناصر تشكل أشياء بديهية غير أنه من الصعب ادراك الافكار كالخير والشر التي تختلف من ثقافة الى أخرى حتى الأعراف يمكن ان تختلف وظائفها وممارستها من طرف الأشخاص (Pierre Bourdieu, Jean Claud Chamboredon, Jean Claud Passeron, 1968 p.p.141.142)

1. المقاربة المنهجية الإثنوميدولوجية وإمتداداتها على العلوم الإنسانية:

لقد ظهرت في سنوات الخمسينات من القرن العشرين حركة كبيرة مست منهجية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالتخلي عن النظريات الكبرى (الوضعية والماركسية) ورفض المقاربات الشمولية والكمية بالتركيز على المعاش اليومي والنوعي للأفراد (أنثروبولوجية العلوم الجماعية) بظهور مصطلحات ومفاهيم ونظريات بديلة مثل: الإثنوميثودولوجيا Ethnomethologie، الإثنوغرافية الاثنية التاريخية، يفيد معنى الإثنوميثودولوجيا منهج الدراسة الذي يركز على دراسة الجماعة، كما يحيل لفظ الإثنوميثودولوجيا ويتركب من لفظين إثنو Ethno يعني جماعة، سلالة، عرق، وميثودولوجيا methodology يعني بها منهج بحث، والإثنوميثودولوجيا هو المصطلح الذي وضعه عالم الاجتماع الأمريكي " هارولد كار فينكل " H. Garfinkel، الذي اعتبر دور الدراسات الإثنوميثودولوجية يتمثل في تحليل الأنشطة اليومية المستخدمة من طرف أفراد الجماعة كمناهج ذات صلة ويمكن الإبلاغ عنها لجميع الأغراض العملية بمعنى الوصفية وبالتالي فإن البعد اللفظي للنشاط يصبح مركزي في الدراسات الإثنوميثودولوجيا حيث أن النشاط لا يعد اجتماعيا الا بقدر ما احتوى على التفاعل الأمر الذي يقتضي على عالم الاجتماع تحليل هذه الأنشطة المنظمة للحياة اليومية والمعاني التي يقدمها الأفراد والناس في أنشطتهم الاجتماعية اليومية وحالتهم الساذجة

من خلال لغة الحديث اليومي الذي يجعل الإثنوميتودولوجيا تحمل معنى أكثر أنثروبولوجيا بدراسة المناهج اليومية والعادية للفعل الإنساني والتفكير العملي، فالمنهج الإثنوميتودولوجي لا يؤكد على ضرورة القطيعة الإستمولوجية بين الأحكام المسبقة وعلم الاجتماع (دوركايم)، بين الحس المشترك والمعرفة العلمية (باشلار)، بين علم الاجتماع العفوي وعلم الاجتماع العلمي (بورديو) فالإثنوميتودولوجيا ترفض استخدام اللغة العلمية وتفضل استخدام اللغة المتداولة بين الأشخاص في حياتهم اليومية، كما ترفض الطرق المستخدمة في البحث السوسيولوجي كالاستمارة والإحصاء (garfinkel, h, 2007, p.p.188-189)

تعتبر الإثنوميتودولوجيا طرح فكري ومنهجي جديد أحدث قطيعة مع المنهج السوسيولوجي الكلاسيكي منتقدتا فيه القول الشهير لدوركايم حينما يعتبر الواقع الموضوعي للأحداث الاجتماعية هو المبدأ الأساسي لعلم الاجتماع. خلافا لدوركايم يرى Garfinkel إنه من الواجب إعادة قراءة قول دوركايم بالطريقة التالية الواقع الموضوعي للأحداث الاجتماعية هو إنجاز محلي وواقعي ومستمر في كل مجتمع بمثابة الظاهرة الأساسية في علم الاجتماع وفي نقده دوما لدوركايم اعتبر Garfinkel أن الأحداث الاجتماعية لا تفرض نفسها علينا إنها ليست أشياء بل إنجازات أعضاء (Annie devinant ,1999 , p.79)

عموما إن التغيرات التي مست مناهج وطرق العلوم الإنسانية اقترنت وتزامنت مع الأزمة الكبرى التي عاشتها المجتمعات الأوروبية بعدما عرفت رقما خلال الفترة الممتدة ما بين نهاية حرب الفيتنام وانهايار الاتحاد السوفيتي والأزمة البترولية وبالتالي فإن الفترة الجديدة للعلوم الإنسانية تمثلت في إعادة إدراج الإنسان كصانع وفاعل تاريخي أساسي ومحوري، وبالتالي فإن التيار الجديد للعلوم الإنسانية ظهر كردة فعل ضد الوضعية وأكاديمية العلوم الاجتماعية، هذا التيار حث على التحقيق في الميدان وتفضيل السيرة الذاتية والحياة اليومية للإنسان وتمثلاته وممارسته، عموما فإن توجه علم الاجتماع شهد رفض الاستمارة والتكميم والتوجه نحو ترقية المقاربات الكيفية والميدانية وتقنية البيوغرافية لمقاربة الحياة اليومية اعتبر فيها جورج بالاندييه أن الأكثر أهمية في هذه الحركية المستحدثة هو عودة الإنسان الفاعل أمام البنيات والأنساق. الكيفي أمام الكمي والمعاش أمام المؤسس أهم ما ميز هذه الفترة ظهور مؤيدين للمنهج البيوغرافي يتعلق الأمر بـ franco ferraroti وbertaux daniel كلاهما حاولا إرساء طريقة جديدة للبحث في علم الاجتماع مختلفة جذريا عن علم الاجتماع الاستمارة فبالنسبة للأول يتحدث عن المقاربة البيوغرافية وليس

عن التقنية بينما زميله الثاني الإيطالي يرى علم الاجتماع كمشاركة. هذه الحركية تزامنت ايضا مع التغيرات التي مست الأنثروبولوجيا الغربية التي غيرت موضوع اهتمامها من دراسة الميادين البعيدة أي مجتمعات العالم الثالث إلى دراسة المحيط المقرب أي المجتمعات الريفية والتقاليد والثقافات المحلية كما مس موضوع اهتمامها أيضا المجتمعات الحديثة في المدن والمصانع وبالتالي فإن الرؤية الأنثروبولوجية انصببت اهتمامها إلى الحداثة خاصة مع مطلع سنوات التسعينات من القرن الماضي أين دافعا كلا من Gerard Althabr (1935-2004) و Marc Auge المولود سنة 1935 عن ما سماه الأول إثنولوجية الحاضر والثاني ما أطلق عليه بأنثروبولوجية العالم المعاصر (Djamel Guerid, 2013, p.p.183.184)

انطلاقا مما ذكرناه سالفًا يتبين لنا ان هناك تشابه كبير بين المنهج الانثروبولوجي والاثنوميتو دولوجي كونهما يشتركان في مقارنة نفس الخصوصيات المنهجية للمجتمعات المحلية سواء التقليدية أو الحديثة مع التركيز مؤخرًا على المجتمعات الحضرية الحديثة خاصة مع نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين اين اتجه العديد من المختصين في حقل الانثروبولوجيا والاثنوميتودولوجيا الأمريكيين أمثال روبرت راد فيلد واوسكار لويس وريتشارد فوكس الاهتمام بالظاهرة الحضرية نتيجة مجموعة من العوامل أهمها تغير الظروف المجتمعية و ظهور نتائج الثورة الصناعية وما صاحب ذلك من تغير في اشكال التجمعات البشرية وظهور المراكز الحضرية بادئة في المدن الميتروبوليتان وانتشار التحضر وظهور الاقتصاد النقدي وتطور الاتصال والنقل وبالتالي كان لزاما على الباحثين ان ينصبوا بدراساتهم الى المدينة. (محمد عبده محجوب، 2009، ص. 34)

ومما ساعدهم على تطوير هذه الأبحاث هو التحول المسجل في موقف رواد الأنثروبولوجين من مجالات اهتمام هذه الأخيرة حيث جاء اهتمامهم بالأنماط المجتمعية غير التقليدية أو غير البدائية وتوسع نطاق الدراسات الانثروبولوجيا الحقلية ليشمل المجتمع الإنساني في مختلف الأوضاع الاجتماعية والثقافية سواءا اكانت ريفية أو بدوية أو حضرية وبالتالي اصبح موضوع الأنثروبولوجيا يتمحور حول دراسة ظواهر المجتمع الحديث وعلى راسها الهجرة الريفية الحضرية ودراسة الروابط القرابية في المدينة وكذا دراسة المهاجرين واحوالهم ومشكلات التكيف النفسي في ضوء الابعاد السوسيوثقافية لهؤلاء الذين يقيمون في المدينة أو البيئة الصناعية فضلا عن دراسة

الطوائف العرقية والجماعات الاثنية والثقافات الفرعية بالإضافة الى دراسة سكان الاحياء وازمة العمران الحديث كما تركزت الأبحاث خاصة من طرف الباحث ريتشارد فوكس وذلك بأسلوب شبيه لمدرسة شيكاغو في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين على الشوارع القذرة والأقليات المضطهدة والاحياء الفقيرة والباري وهات وعصابات الشوارع وقد أدى ذلك الى ظهور ما يسمى بأثنوغرافيا الشارع كما تناولت المواضيع الأكثر غرابة وشذوذ مثل كهوف العرفات والمخنثين (محمد احمد غنيم، العدد 25، 1999، ص.ص. 33، 34)

خاتمة:

انطلاقا مما ذكرناه سالفنا نستخلص أن مسألة المنهج في العلوم الاجتماعية نالت قسطا وفيرا من المقاربات النظرية المتضاربة بين مؤيدي المنهج العلمي الوضعي الذين أيدوا ملاحظة الظواهر الاجتماعية من الخارج لتحقيق علميتها وتمثيليتها وتعميم نتائجها بواسطة التجربة والفرضيات والإحصاءات الكمية متحفظين من انطباعية وذاتية المنهج الفهمي والكيفي التي بإمكانها أن تعيق الباحث في تحقيق الموضوعية والحياد العلمي بالمقابل ذلك نجد أن مؤيدي المنهج الفهم يؤكدون على ضرورة غوص وانغماس الباحث في خصوصيات وجزيئات الظواهر الاجتماعية من الداخل لفهم المعاني والقيم والمعايير التي تصدر من الأفراد في نشاطاتهم اليومية متحفظين من الارقام والاحصائيات التي ستظل صماء أمام ثراء وتعقد التجارب الشخصية لأفراد المجتمع بين هذه المقاربات المتضاربة يوجد تيار حاول أن يجمع ويوفق بينهم باسم تراكمية المعارف والعلوم التي يرى فيها كوهن أن العلم عندما يبلغ حالة من النضج فإنه سيتقدم من براديغم إلى براديغم دون أي خلاف بين مدرسة وأخرى الأمر الذي يستدعي هنا تطبيق منهج أطلق عليه باريتو بمنهج المقاربات المتوالية الذي يمكن استخدامه في شتى العلوم لأن النظرية حسب تصور باريتو لا يمكن تقبلها إلا مؤقتا حيث أن النظرية التي تصلح اليوم يمكن أن نهملها الغد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ادموند هوسرل، (2007)، فكرة الفينومونولوجيا، ترجمة: فتحي انقزو، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
2. محمد عبده محجوب. (2009). طرق ومناهج البحث السوسيوانثربولوجي. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.
3. محمد احمد غنيم. (أوت 1999). الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في الانثروبولوجيا الحضرية. مجلة كلية الآداب. جامعة المنصورة، العدد 25، الجزء 1، مصر.
4. Garfinkel, H, (2007), Recherches En Ethnométhodologie, Puf, Paris.
5. Annie Devinant. (1999), Les Courants De La Pensee Sociologique Par Les Textes Ed Hachette Paris.
6. Djamel Guerid . (2013), L'Entree En Sociologie Les Limites De L'Universel Europeen. Ed Publiisud.
7. Mostefa Bouteffouchet. (2004), Societe Et Modernite Société Et Modernité principe du changement social Opu.
8. Pierre Bourdieu Jean Claude Chambordon Gean Claude Passeron. (1971), Le Metier De Sociologue
9. Max Weber Economie Et Societe Paris Plon.
10. Max Weber, (1959), Le Savant Et Le Politique Paris Plon.
11. Bourricaud. (1975), Contre Le Sociologisme Une Critique Et Des Propositions Revue Francaise De Sociologie.
12. Jules Monnerot. (1946), Les Faits Sociaux Ne Sont Pas Des Choses Ed Gallimard.
13. Marcel Mauss. (1989), Essai Sur Le Don .Ed Enag.
14. Pierre Bourdieu, Jean Claud Chamboredon, Jean Claud Passeron. Le Metier De Sociologue.